أفغانستان.. وقطف الثمار..!

انتظر المسلمون جميعًا ثلاثة عشر عامًا منذ سنة ١٣٩٩هـ للوصول إلى كابول عاصمة أفغانستان، التي كان يسيطر عليها الشيوعيون قسرًا بدعم قوي من معقل الشيوعية في موسكو قبل التفتت والانحسار، وبذل المسلمون الشيء الكثير من أجل الوصول إلى هذا المكان.

وكان مما بذله المسلمون الأرواح الطيبة التي زادت على المليون وستمائة ألف قتيل ـ نحسبهم من الشهداء ـ وبذلوا كذلك أكثر من مليون معاق مبتور اليدين والرجلين، أو اليدين دون الرجلين، أو الرجلين دون اليدين، أو إحداها أو العينين. والبعض قد فقد عقله وبقي جسمه معه. وخلف الراحلون وراءهم أكثر من مليون يتيم هم الآن نهب المعتقدات وفريسة التيارات، إن لم ينتبه لهم إخوانهم الصادقون. وخلف الراحلون وراءهم كذلك مئات الآلاف من الأرامل في مخيمات المهاجرين اللاجئين على الحدود الباكستانية الأفغانية وبعضهم على الحدود الإيرانية الأفغانية.

وهاجر من البلاد جزء غير يسير من أبنائها ممن فضلوا عدم الدخول طرفًا في أي نزاع، ومنهم المتعلمون والمثقفون والمربون ورجال كان لهم نفوذ، وجدوا أعمالاً لهم في أوروبا وأمريكا واستراليا، وآثروا هناك السكينة، ومع هذا لم يستطيعوا إلا أن يسهموا بجهد المقل في دعم القضية الأفغانية، سواء مع المجاهدين ضد النظام الشيوعي أو مع الشيوعيين ضد المجاهدين الذين يسعون إلى إقامة نظام إسلامي على أرض أفغانستان.

وبذل المسلمون الكثير من الأموال من الزكوات والصدقات والتبرعات والإعانات على المستويات الشعبية والحكومية الرسمية، وكانت هناك حملات تبرع وكانت هناك نداءات وكانت هناك جهود أعانت ـ بعد الله ثم بعد الدعاء ـ على الثبات طيلة هذه السنين التي مضت.

واليوم ينهار الحكم الشيوعي في أفغانستان ويرابط المجاهدون على حدود العاصمة كابول في انتظار إعلان النصر والسيطرة التامة على الأرض الأفغانية كلها، في الوقت الذي تبذل فيه الأمم المتحدة قصارى جهدها لإنهاء الأزمة سلميًا، من وجهة نظر الأمم المتحدة التي تسعى إلى إقحام جميع الأطراف في تآلف ينهي القتال دون النظر بالضرورة إلى ما يصبو إليه المجاهدون طيلة ثباتهم، وهذا سبب من أسباب عدم موافقة المجاهدين على جميع نقاط الأمم المتحدة الخمس.

وحيث يقرب المجاهدون من العاصمة التي هي رمز الاستمرار أو السقوط تبرز هنا مشكلة تتعلق بالدرجة الأولى بالأعصاب فحسب؛ لأن الانتظار الطويل المحفوف بالمخاطر الوارد ذكرها، والتي لم يرد ذكر شيء منها هنا وتتعلق بالأمن على الأفراد وغير ذلك، كل هذا الانتظار قد يولد شيئا من السرعة في التصرف العاطفي البعيد عن التخطيط المطلوب في مثل هذه المواقف.

ولا أظن نظريًا أن الموقف الآن يحتمل أكثر من جني الثمار والمضي قدمًا في تعمير أفغانستان من الداخل بعد ثلاثة عشر عامًا من التوقف شبه التام عن المسيرة التي سارت بها الأمم الأخرى من حول أفغانستان، فإذا صحب التعمير المادي للأرض من عمارات وطرق وسدود وجسور وإنجازات تعمير للإنسان الأفغاني دينًا ودنيا، بأيدٍ أمينة صادقة لا تسعى إلى ترسيخ معتقدات أجنبية عليه، بعيدة عن مضرته، فإننا ندرك هنا أن المسؤولية تقع على المجاهدين بعامة وعلى قادتهم بخاصة في سباقهم مع الزمن في تعمير أفغانستان الأرض والإنسان.

وضبط الأعصاب والتغلب على الهوى والسيطرة على التطلعات الذاتية، كل هذه أمور مطلوبة اليوم أكثر من أي زمن مضى، بل ربما هي مطلوبة اليوم

أكثر من أي زمن يأتي .

لقد ظهر طيلة قيام الجهاد في أفغانستان تشكيك بمدى وصول المجاهدين إلى العاصمة في مقابلة نظام تدعمه قوى عظمى ، وظهر طيلة قيام الجهاد هناك تشكيك في مدى قدرة المجاهدين على إقامة نظام حديث للدولة إذا ما وصلوا إلى العاصمة كابول ، وظهر طيلة قيام الجهاد هناك تشكيك في نوايا بعض القائمين على الجهاد ، وظهر طيلة قيام الجهاد هناك محاولات مادية محسوسة لزرع الشقاق بين المجاهدين من خلال مجموعة غير يسيرة من المنافقين المندسين بين المجاهدين في المواقع وبين المهاجرين في المخيمات يثيرون النزاع والنعرات القبلية والعرقية ويشككون في مدى مصداقية كل ما هو قائم الآن على الساحة .

والمطلوب من المجاهدين الآن التصدي العملي لجميع هذه الشكوك وغيرها أخرى بحيث يثبتون للعالم الإسلامي وللعالم الآخر أنهم إنما قاموا بهذا الجهاد لإعلاء كلمة الله فحسب ، بعيدا عن تأثيرات جانبية هي في الحق من النظرات قريبة المدى التي تضر بالفكرة ولا تنفعها ، وليس في هذا إلماحة إلى الانضمام إلى جحافل المشككين أو إشارة إلى صدق شيء من هذه الشكوك ، ولكن واقع الحال أن الأمر مفتوح لأية إشاعة أو تلميحة ما لم يثبت الواقع العملي كذبها أو صدقها .

نشوة النصر شعور غير سهل على أولئك الذين انتظروه طويلاً ، والعقبات أمام النصر لا تزال تعيق الطريق ، ولكن التوكل على الله وحده أولاً ثم الإرادة القوية المصحوبة بالمزيد من التضحيات الذاتية كفيلة ـ بإذن الله ـ أن تعين على الوصول إلى الهدف .

وليس سرًا أن هناك أمورًا مهمة في حياة المجاهدين كانت مؤجلة إلى أن تفتح كابول ، وهذا يزيد من المسؤولية في الالتفات إلى هذه الأمور المهمة

التي لم تكن في مجملها تحتمل التأجيل، ولكنها على أية حال أُجلت، وكان لتأجيلها آثاره على المسيرة مما لا مجال لمناقشته هنا، إذ إن المعنيين بأمر الجهاد في أفغانستان يدركون أنه كانت هناك دعوات للتريث في بعض الأمور التي كانت مجال نقاش في مدى أولويتها.

ويبقى المهاجرون على الساحة الباكستانية على مزيد من الانتظار قبل عودتهم النهائية إلى أماكنهم، وتظل مشكلتهم قائمة واحتياجاتهم مستمرة، ولا أظن أن عودتهم إلى بلادهم ستكون قصيرة المدى والمدة، إذ تحتاج إلى تنظيم وإمكانات قوية، فمجيئهم إلى المخيمات كان سهلاً متقطعًا وعودتهم إلى بلادهم ينتظر منها أن تكون جماعية، وعليه فإنهم يظلون بحاجة إلى الإغاثة والدعم من إخوانهم المسلمين في كل مكان.

وتبقى الحاجة ملحة إلى المسلمين في كل مكان أن يواصلوا دعواتهم لهؤلاء المجاهدين بالثبات وتجنب الفتنة وعدم الاستسلام للوساوس الشيطانية التي تحيط بهم من كل جانب، وعدم الاستسلام للأبواق الأجنبية التي بدأت من خلال وسائل الإعلام فيها تثير الجانب العرقي والروح القبلية التي هي من سمات الجاهلية، فالمطلوب من المجاهدين عدم الاستسلام لها، والمطلوب من المسلمين في كل مكان عدم التسليم بها والانصياع لهذا المفهوم الذي يسعى المجاهدون ـ والقادة منهم بخاصة ـ إلى تجاوزه في سبيل إقامة حكم الله على أرض أفغانستان المسلمة.

فالدعوات للأفغان جميعا بالثبات وتجنب الفتنة النائمة، والدعوة للجميع بالوقوف مع الأفغان في خطوتهم الأخيرة وتجنب التثبيط والابتعاد عن التأييس والتقنيط، وكان الله في عون الجميع.